السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة
كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى
بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال ابو روق قالت ام ابراهيم لانظرن الى
اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن
اسحاق كان ازر قد سال ام ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم
يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجيني فاخرجته عشاء
فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره
ونظر في السماء فراى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس فلما افل قال لا احب الافلين
فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الخ ثم رجع الى ابيه ازر
وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرى من دين قومه الا انه لم يبادهم بذلك فلما رجعت بما امه اخبرته انه ابنه
واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة قالوا
فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت
ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه
ازر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود
فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي
ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال
اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه من ان يكون لها اله هو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشتري قد
طلع ويقال بل الزهرة وكانت تلك الليلة من اخر الشهر اخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما
جن عليه الليل يعني سود بظلامه راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الروية وفي وقت هذا القول
هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن
لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لانه لا احكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل
ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها من العجايب ونظر الى الارض وما فيها من العجايب
وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذه الخلق من خالق ومدبر وهو اله الخلق
ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل النظر في
معرفة استحكام الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته لقوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي
لان الانبيا معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت من
الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري وكيف يتوهم هذا على
ابراهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات والارض الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشا
ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبا علي واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور
المحققين ان هذه الروية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم او حين شرفه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف
اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج
قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم

انه

انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت
خطاهم ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر
تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو ولا قبل لهم به فشاوروه
في امر هذا العدو فقال الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون
اليه فلم يغن شيا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه
ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان
ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا
ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افاين مت فهم الخالدون يعني
افهم الخالدون والمعنى ايكون هذا ربا ودلايل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك
على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الاية اضمارا يقولون هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا الوجه الخامس انه الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفا تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه
الواقعة بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض بعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق
بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبيا
عليهم السلام لم يزالوا يسالون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام واما قوله تعالى فلما افل يعني غاب
والافول غيبوبة النيرات قال يعني ابراهيم لا احب الافلين يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه
ظاهرة قوله تعالى فلما راى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا ربي معناه ما تقدم في الكواكب فلما
افل يعني غاب قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين يعني ان لم يثبتني على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا
لان الانبيا لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف
الهداية الى الله تعالى فلما راى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضيا والنور لانه راى
الشمس اضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير
هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم اني بري مما تشركون يعني انه لما اثبت ابراهيم
عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهية ولا تصلح للربوبية تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما
يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال اني وجهت وجهي يعني اني
صرفت وجهي عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات والارض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا
يعني مايلا عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة
وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل
وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر
التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني في توحيدي لله وقد
هداني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي ولما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب
بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه ازر الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)